Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نذكر هذه الأجوبة عن الكوفيين ... إلا أن العبارة عن ذلك بغير ألفاظهم » . وهو لا يفعل ذلك تعصُّباً ضدّهم ، بل رغبةً منه في التوضيح كما يقول ، لأنه « لو تكلَّفنا حكاية ألفاظهم بأعيانها ، لكان في نقل ذلك مشقَّة علينا من غير زيادة في الفائدة ، بل لعلَّ أكثر ألفاظهم لا يفهمها من لم ينظر في كتبهم »[1] .

الخلاصة إذاً أن الزجاجي كان كأكثر شيوخه الذين لم يكونوا بصريين خلَّصاً ولا كوفيين خلَّصاً ، وإنما كانوا ذوي نزعة تجديدية ، تمزج بين نحوي البصرة والكوفة ، وتأخذ من محاسنهما ، تاركةً العصبية المذهبية جانباً ، فلم تكن ثقافتهم النحوية بصرية محضاً ، ولا كوفية محضاً ، وإنما كانت مزاجاً من الثقافتين وانتقاءً من المذهبين ، وإن كان أخذها من أحدهما يتفاوت قوةً وضعفاً ، وكثرة وقلة .

هذا التفاوت في الميل إلى أحد المذهبين ، كان عند الزجاجي إلى جانب البصرة ، فعلى الرغم من أن معظم أساتيذه كانوا على صلة وثيقة بنحو الكوفة ، ومذهب علمائها ، وأنهم أخذوا عن ثعلب ، وكان منهم ابن الأنباري والحامض الكوفيان ، فقد ظهر ميل أبي القاسم إلى البصريين حين عدّ نفسه منهم فقال : « أصحابنا البصريون »[2] ؛ وقال : « وليست هذه المسألة مسطرة لأصحابنا في شيء من كتبهم البتة ، وهي مسطَّرة في كتب الكوفيين »[3] . وظهر ميله هذا حين كان يؤيد رأيهم كما في قوله عن الزاهر : « ووجدت فيه أيضاً مواضع من النحو وعلله ومن التصاريف على مذهب الكوفيين ، فذكرتها على مذهب البصريين ، ودللت على صحَّة مزاعمهم دون مذهب الكوفيين »[4] .

ولعلَّ هذا الميل إلى آراء البصريين يرجع إلى تأثير الزجاج في تلميذه ، فمن

---

(١) الإيضاح ٧٢ .

(٢و٣) الأشباه والنظائر ٤٦/٣ .

(٤) مختصر الزاهر : الورقة ١ .